الظل خارج الزمان

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

الظل خارج الزمان

اسم النص الأصلي: the shadow out of time

اسم المؤلف: هوارد فيليبس لافكرافت

ترجمة: عمار المصري- د. أحمد تركي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2019/22095

الترقيم الدولي: 978-977-6634-27-5

الطبعة الأولى: 2019

هوارد فيليبس لافكرافت

الظل خارج الزمان

رواية

ترجمة

عمار المصري

د. أحمد تركي

الفصل الأول

بعد اثنين وعشرين عامًا من الكوابيس والهلع، لا تنقذني سوى قناعة يائسة بالمصدر الغامض لانطباعات مُعينة، ولا أعتزم أن أبرهن بحقيقة ما أظن أنني وجدته في غرب أستراليا في ليلة السابع عشر أو الثامن عشر من يوليو 1935.

هناك سبب آمُلُ به أن تجربتي كانت هلوسة -كُليًّا أو جُزئيًا- وفي الحقيقة، فهناك الكثير من الأسباب تشير إلى ذلك. ومع هذا، فواقعية ما رأيت شنيعة للغاية، بقدرٍ يجعلني أحيانًا أجد الأمل مُستحيلًا.

لو أن هذا ما حدث بالفعل، فعلي الإنسان أن يستعد لتقبُّل مفاهيم الكون، وتقبُّل مكانه في دوامة الزمن الهائجة، والتي يشُل مُجرد ذكرها الأبدان. وعليه أيضًا أن يأخذ حذرَهُ من خطرٍ مُعين كامن، والذي -رغم أنه لن يستطيع أبدًا الإحاطة بالجنس البشري كله- سيفرض فظائع وحشية لا يمكن توقعها على بعض المغامرين من البشر.

لهذا السبب الأخير، أحث بكل كياني على التخلي نهائيًا عن كل محاولات النبش لاستخراج تلك الشظايا المجهولة، والبناء البدائي المجهول الذي خرجت بعثتي لفحصه.

وبافتراض أنني كنت واعيًا ومُستيقظًا، فإن تجربتي في تلك الليلة لم

تحدث لأي إنسان من قبل. كانت، علاوة على ذلك، تأكيدًا مخيفًا على كل ما سعيتُ لنبذه باعتباره أسطورة أو حُلمًا. لحسن الحظ لم يكن هناك دليلٌ، فوسط خوفي فقدت هذا الشيء المدهش -إن كان حقيقيًا واستُخرج فعلًا من تلك الهاوية المؤذية- الذي كان ليُشكل دليلًا غير قابل للدحض.

عندما قابلت الرعب وجهًا لوجه، كنت وحدي، ولم أخبر أحدًا عنه حتى الآن. لم استطع منع الآخرين من الحفر في اتجاهه، ولكن الحظ وحركة الرمال ساهما حتى الآن في حمايتهم من العثور عليه. والآن يجب أن أصيغ بيانًا مُحددًا بعض الشيء، ليس فقط من أجل سلامتي العقلية، ولكن لتحذير الآخرين إن قرأوه على محمل الجد.

هذه الصفحات ـوالتي ستكون أجزاؤها الأولي مألوفة للقراء المُطلعين على الصحافة العامة والعلميةـ كُتبت في مقصورة السفينة التي تحملني إلى الوطن. سأعطيهم لابني، البروفيسور "وينجَيت بيزلي" من جامعة ميسكاتونيك؛ الفرد الوحيد من عائلتي الذي ظلَّ بجانبي بعد فقدان الذاكرة الغريب الذي أصابني منذ زمنٍ بعيدٍ؛ وهو على عِلمٍ كبيرٍ بالتفاصيل الدقيقة لحالتي. وهو الأبعد من بين كل الأحياء عن السخرية مما سأحكيه عن تلك الليلة المشئومة.

لم أُفهِمه الحقائق شفويًا قبل أن أُبحر، لأني ظننتُ أنه من الأفضل أن يكتشف الحقيقة في شكلٍ مكتوبٍ. قراءتها وإعادة قراءتها في أوقات الفراغ سيترك في مخيلته صورة مقنعة أكثر مما يأمل لساني المرتبك يأمل أن يُبلغه.

يمكنه أن يفعل ما يراه مناسبًا من وجهة نظره؛ يعرضها ـمع تعليقٍ مناسب- على أي مُنشأة عسكرية يُحتمَل أن تحقق بها نفعًا.

ومن أجل مثل هؤلاء القراء غير المُعتادين على المراحل المُبكرة من حالتي، فإنني أستهل هذا الكشف بملخصٍ كافٍ إلى حدٍّ ما عن خلفيته.

اسمي ناثانيل وينجَيت بيزلي، وأولئك الذين يتذكرون حكايات الجرائد منذ جيلٍ مضى -أو الرسائل والمقالات في مجلات علم النفس منذ ستة أو سبعة أعوام مضت- سيعلمون مَن أنا، وما أنا عليه. كانت الصحافة مليئةً بالتفاصيل عن فقداني الغريب للذاكرة من 1908 إلى 1913، والكثير منها أتى من تقاليد الرعب والجنون والسحر الكامنة في مدينة ماساشوسيتس العتيقة حينها والتي صارت مكانَ إقامتي الآن. ومع ذلك أوَدُّ أن يُعرَف أنيّ لم أُعايش أي جنون أو شر، لا بالوراثة ولا في مقتبل حياتي. هذه حقيقة هامة للغاية في ظِلِّ سقوط الظل المُفاجئ عليَّ من مصادر خارجية!

قد يكون مرور قرونٍ من الظلام الكئيب هو ما جعلَ "أرخام" المُتهالكة والمسكونة بالهمسات عُرضة بشكلٍ خاصٍ لمثل هذه الظلال؛ رغم أن هذا يبدو موضِعَ شكٍّ في ضوء تلك الحالات الأخرى التي درستُها لاحقًا. ولكن النقطة الرئيسية هي أن أسلافي وخلفيتي طبيعيون تمامًا.

ما جاء، قد جاء من مكانٍ آخر؛ من حيث لا أجرؤ حتى الآن على الجزم به بكلمات واضحة.

أنا ابن جوناثان وهانا (وينجيت) بيزلي، وكلاهما من سلالة عريقة من هافيرهيل. وُلدتُ وترعرعت في هافرهيل -في المنزل القديم في شارع بوردمان بالقرب من جولدن هيل- ولم أذهب إلى أرخام حتى دخلت جامعة ميسكاتونيك في سن الثامنة عشر، بعد تخرجي درست الاقتصاد في هارفارد، وعُدت إلى ميسكاتونيك كمُعلم للاقتصاد السياسي عام 1895.

مرت حياتي بسلاسة وسعادة لمدة ثلاثة عشر عامًا. تزوجت أليس كيبزار من هافيرهيل عام 1896، وأنجبت ثلاثة أبناء، هم" "روبرت ك، ووينجيت، وهانا، ولدوا بالترتيب أعوام 1898 و1900 و1903. في عام 1898 صرت أستاذًا مساعدًا، وفي عام 1902 حزت على لقب بروفيسور. لم أشعر في أي وقت بأدنى اهتمام بالتنجيم أو الظواهر النفسية الخارقة للطبيعة.

كان يوم خميس، 14 مايو 1908، عندما أصابني فقدان الذاكرة الغريب. كان الأمر مفاجئًا، لكني أدركت لاحقًا أن بعض الرؤى الخاطفة والمقتضبة قد داهمَتْني قبلها بساعات -رؤى فوضوية أزعجتني جدًّا لأنها كانت غير مسبوقة إلى حدٍّ كبيرٍ- والتي بلا شك شكلت أعراضًا أوليّة. كان رأسي يؤلمني، وانتابني إحساس وحيد -جديد بالكُليةبالنسبة لي- أن شخصًا آخر كان يحاول الاستحواذ على أفكاري.

حدث الانهيار قُرابة الساعة 10:20 صباحًا، عندما كنت أُلقي محاضرة عن المبدأ السادس في الاقتصاد السياسي -التوجهات الاقتصادية

في الماضي والحاضر- لطلاب السنة الأولى وبعض طلاب السنة الثانية. بدأت أرى أشكالًا غريبة أمام عينيّ، وشعرت أنني في غرفة غريبة غير غرفة المحاضرات.

هامت أفكاري وحديثي بعيدًا عن موضوع المحاضرة، وأدرك الطلاب أن هناك خطبًا جللًا، ثم انهرت، فقدت الوعي على مقعدي، ودخلت في غيبوبة عجز الجميع عن إيقاظي منها. ولم تطّلع حواسي على ضوء نهار عالمنا الطبيعي مجددًا لمدة خمس سنوات، وأربعة أشهر، وثلاثة عشر يومًا.

وعرفت ما حدث بعدها من الآخرين، بالطبع. لم تظهر عليَّ أيُّ علامةِ وعيٍ لستِّ عشرة ساعة ونصف، رغم نقلي إلى منزلي في 27 شارع كرين، وتقديم أفضل رعاية طبية لي.

في الثالثة صباحًا من يوم 15 مايو، فتحت عينيّ وبدأت بالتحدث، وقد تملَّك عائلتي خوفٌ عميقٌ بسبب تغيُّر تعبيراتي ولهجتي. كان جليًا أنني لم أعد أتذكر هويتي ولا ماضيَّ، ولسببٍ ما بدوت عصبيًا وأنا أُخفي هذا النقص في معلوماتي. حدقت عيناي بغرابة في الأشخاص من حولي، انثناءات عضلات وجهي غير مألوفة. حتى طريقة كلامي بدت غريبة وغير مُلائمة، استخدمتُ أجهزتي الصوتية بشكلٍ أخرق ومُتخبِّطٍ، وكان إلقائي ذا طبيعة متكلفة غريبة الأطوار، وكأني تعلمت اللغة الإنجليزية بمشقةٍ من الكتب. كان نُطقِي للحروف بربريًّا بشكلٍ غير مألوفٍ، في حين بدا أن مصطلحاتي تحتوي على شذرات من أسلوب عتيق مهجور بجانب مجموعة غير مفهومة من التعبيرات.

أحد تلك التعبيرات الأخيرة -بشكلٍ خاصٍ- تذكَّرها أصغر أطبائي بوضوح وبذعر- بعد عشرين عامًا. ففي تلك الفترة المُتأخرة، بدأت جملة كهذه تلقى رواجًا حقيقيًّا ـأولًا في إنجلترا ثم في الولايات المتحدةـ وبرغم تعقيدها الشديد وحداثتها التي لا جدال فيها، فقد تناقلت الألسنة -على أقل تقدير- الكلمات المُحيِّرة لمريض أرخام الغريب في عام 1908.

عادت إليَّ قوتي الجسدية مرةً واحدة، رغم حاجتي إلى قدرٍ عجيبٍ من إعادة التأهيل لاستخدام يديَّ، وقدميَّ، وأجهزتي الجسدية بشكلٍ عامٍ. وبسبب هذا، بالإضافة إلى الإعاقات الأخرى المُلازمة لفقدان الذاكرة، فقد ظللتُ لبعض الوقت خاضعًا لرعاية طبية صارمة.

عندما أدركت أن مُحاولاتي لإخفاء فقداني الذاكرة قد فشلت، اعترفتُ بصراحةٍ، وصرتُ مُتلهفًا للحصول على أكبر قدرٍ من المعلومات من كل لون. وبالطبع بدا للأطباء أنني فقدتُ اهتمامي بشخصيتي الحقيقية بمجرد أن وجدت أن حالة فقدان الذاكرة مقبولة كأمرٍ طبيعيٍّ.

لاحظوا أن جهدي الأكبر تركَّز على إتقان نقاطٍ معينة في التاريخ والعلم والفن واللغة والأساطير ـبعضها كان مبهمًا للغاية، والبعض الآخر كان طفوليًا بسيطًاـ وهو ما بقي خارج وعيي -بغرابة- وفي الكثير من الحالات.

وفي نفس الوقت لاحظوا أني أُتقن بطريقة لا يُمكن تفسيرها الكثير من أنواع المعرفة المجهولة؛ ملكة بدا أنني أردت إخفاءه بدلًا من إظهاره. كنت وبدون قصد أشير ـ بطريقةٍ عابرةـ لأحداث معينة في

عصور مُبهمة خارج نطاق التاريخ المعروف؛ ألقيت هذه الإشارات كدُعابة ورأيت الدهشة التي تُحدِثها، وتحدثت مرتين أو ثلاث عن المستقبل مما أثار خوفًا حقيقيًّا.

سرعان ما توقفت هذه الومضات الخارقة للطبيعة عن الظهور، على الرغم من عزو بعض المراقبين اختفاءها إلى حذرٍ ماكر من جانبي لا إلى انحسار المعرفة الغريبة خلفها. في الواقع، بدوت مُتعطشًا فجأة لاستيعاب الحوار، والعادات، ووجهات النظر الخاصة بالعصر الذي أعيش فيه؛ كأنني مُسافر يتوق للتعلم أتى من أرض أجنبية بعيدة.

بمجرد السماح لي بالخروج، لازمت مكتبة الجامعة طوال الوقت؛ وسرعان ما بدأت التجهيز لتلك الرحلات الغريبة، والحلقات الدراسية الخاصة في الجامعات الأمريكية والأوروبية، والتي أثارت الكثير من الجدل في السنوات التالية.

لم أواجه نقصًا في مصادر المعلومات في أي وقتٍ، فقد كان لحالتي شهرة معقولة بين علماء النفس في تلك الفترة. أُلقيت المُحاضرات عني، النموذج المثالي لحالات الشخصية الثانوية؛ وعلى الرغم من ذلك، كنت أُحيِّر المحاضرين من آنٍ لآخر ببعض الأعراض الشاذة وبعض الآثار الغريبة لسخرية مخفية بعناية.

أما عن المودة الحقيقية، فللأسف، لاقيت اليسير منها، شيءٌ ما في هيئتي وطريقة كلامي أثار نفورًا وخوفًا مبهمًا في نفس كلِّ شخصٍ أقابله، كما لو كنت منزوعًا للأبد من كل ما هو طبيعي وصحي. فكرة

أن رعب أسود خفي يتصل بي عبر ثغرات لا تُحصَى من (المسافات) حضرت بشكلٍ غريبٍ ومستمرٍ.

ولم تكن عائلتي استثناء لذلك؛ فمنذ اللحظة الغريبة لاستيقاظي نظرت إليَّ زوجتي برعب واشمئزاز شديدين، وأقسمت إن كائنًا فضائيًّا قد استحوذ على جسد زوجها. في 1910 نالت طلاقًا رسميًّا، ولم تُوافِق على رؤيتي مجددًا حتى بعد أن عُدت لطبيعتي في 1913. وشاركها في هذا الشعور ابني الأكبر وابنتي الصغرى، ولم أرهما قَطّ من حينها.

ابني الثاني، وينجيت، وحده قدر على قهر ذعره ونفوره الذي أبرزه التغيُّر الطارئ عليَّ. شعر بالطبع أني غريب، لكن رغم أنه كان في الثامنة إلا أنه آمن بأن طباعي المعروفة ستعود.

وعندما عادت بالفعل سعى ليكون معي، وأعطتني المحكمة حق رعايته. في السنوات اللاحقة ساعدني في الدراسات التي انغمست فيها، واليوم، في الخامسة والثلاثين من عمره، صار أستاذًا في علم النفس في ميسكاتونيك.

ولكنني لا أتعجب من الرعب الذي سببته؛ لأن العقل والصوت وتعابير وجه المخلوق الذي استيقظ في 15 مايو 1908، لا يمتون بصِلّة بالتأكيد لناثانيل وينجيت بيزلي.

لن أحاول أن أقُص الكثير عن حياتي من 1908 إلى 1913؛ لأن القراء بإمكانهم استقاء الأساسيات الظاهرية، كما فعلت أنا على الأغلب، من ملفات الجرائد القديمة والمجلات العلمية.

أصبحت مسئولًا عن مدخراتي، صرفتُ المال بتريث وحكمة، في السفر والدراسة في عدة مراكز تعليمية مختلفة. كانت أسفاري فريدة في غرابتها، وتضمنت زيارات طويلة لأماكن نائية ومهجورة.

في 1909 قضيت شهرًا في الهيمالايا، وفى 1911 آثرت الانتباه برحلة على ظهر جمل في الصحاري العربية المجهولة.

لم أتمكن قَطّ من معرفة ما حدث في هذه الرحلات!

خلال صيف 1912 استأجرت سفينة وأبحرت إلى المحيط الشمالي المتجمد شمال سبيتزبيرجن، وبعد هذا ظهرت عليَّ أماراتُ خيبة الأمل.

وفي نفس السنة قضيت أسابيعَ بمفردي؛ فيما وراء الحدود التي وصلت إليها في رحلاتي الاستكشافية السابقة، في شبكة الكهوف الجيرية في غرب فيرجينيا؛ متاهات سوداء ومُعقدة للغاية جعلت من تتبُع آثار أقدامي أمرًا مستحيلًا.

بقائي المؤقت في الجامعات تميز بسرعة استيعابي الهائلة، وكأن شخصيتي الثانوية تتميز بذكاءٍ يفوق بكثير شخصيتي الحقيقية. وجدت أيضًا، أن معدَّل قراءتي ودراستي الفردية كان استثنائيًا. كان بإمكاني حفظ كل تفاصيل أي كتاب فقط بإلقاء نظرة خاطفة بسرعة تصفحي لصفحات الكتاب؛ في حين أن مهارتي في تفسير الأرقام المعقدة خلال لحظة كانت رائعة بحق.

أحيانًا كانت تظهر تقاريرُ شِبهُ شنيعةٍ عن قوتي في التأثير على أفكار

وأفعال الآخرين، رغم أني بدوتُ حريصًا على تقليل إظهاري لهذه القدرة.

تقارير شنيعة أخرى أظهرت قلقًا من علاقتي بقادة جماعات دينية سِريَّة، واشتبه المتخصصون بعلاقتي بجماعات لا اسم لها تضم كهنة ديانة قديمة بغيضة. هذه الإشاعات، على الرغم من عدم ثبوتها في ذلك الوقت، أثيرت بلا شك بمعرفة فحوى قراءاتي؛ فلا يمكن أن يجري البحث عن الكتب النادرة في المكتبات بسرية.

هناك دليل ملموس -على شكل ملاحظات هامشية- تدل أنني تصفحت بشكل دقيق كتب مثل أديان الغيلان لكونت إغليت[1]، وأسرار الديدان للودڤيج برين[2]، والأديان السرية القديمة لڤون يونزت، والأجزاء القليلة الناجية من كتاب إيبون[3] الغامض، وكتاب العزيف الملعون للعربي المجنون عبد الله الحظرد. وكان من الصعب في الوقت ذاته إنكار ظهور موجة من النشاطات الجديدة والشريرة للجماعات السفلية في نفس وقت تحولي الغريب.

وفي صيف 1913 ظهرت عليَّ أماراتُ الملل وتضاؤل الاهتمام، وبحسب زملائي في ذلك الوقت فقد توقَّعُوا أن يحدث بعض التغيُّر في حالتي في القريب العاجل. تحدَّثتُ عن ذكرياتٍ عائدةٍ من حياتي

---

1 Cults of ghouls: كتاب سحر أسود كتبه فرانسوا أونور-بالفور عام 1702، نُشر في فرنسا ثم منعت الكنيسة نشره بعد ذلك.

2) Mysteriis: كتاب أختلقه المؤلف روبرت بلوخ، كتبه الساحر والخيميائي لودفيج برين.

3) Book of ebon: كتبه الساحر إيبون من مهو-ثولان، ذُكر في العديد من قصص لافكرافت وكلارك أشتون سميث.